

الدور والفتنة في الكسوة

الاستاذ عباس خضر

حول معركة القزويني

قرأت كلمة صديق الأكبر الأستاذ الشيخ عبدالمتعال الصميدى التى عقب بها على ما كتبت به بعنوان « معركة القزويني في الأزهر » وهى المعركة التى دارت ولا تزال دائرة بينه وبين الأستاذ الشيخ محمد خفاحى على كتاب « الإيضاح » فى علوم البلاغة . وقد صورت المعركة على أنها منافسة بينهما بناء على ما تبادلوه فى مناقشتها المطبوعة من عبارات تدل على أن كلا منهما فى رأى الآخر فرض شرحه على الطلاب وحارب شرح الآخر بقية الاستشعار بالسكوب المادى . وطبيعى أن يهتم الأستاذ عبد المتعال بنق ذلك عن نفسه ، ويقرر ما يلقى به من أنه لا يبنى إلا طريقة يختطها فى الإصلاح العلمى ، وقد تلقيت كتابه « دراسة كتاب فى البلاغة » شاكرًا له تفضله بأهدائه ، وتصفحت الكتاب فرأيت به نقدا لشرح الشيخ خفاحى ، وهو يشير فى خلاله إلى تفضيل شرحه على شرح زميله بأنه جرى فيه على طريقة موضوعية بجانب المباحثات اللفظية ، على خلاف زميله الذى عنى بنقل عبارات الحواشى والخلافات اللفظية . أما الشيخ خفاحى فإنه يقر بأنه فعل ذلك بل يفخر به ، وأما الشيخ عبد المتعال فليس جديدا علينا أن نعلم أنه عالم مطلق الفكر وكاتب صاحب رأى ، وأنا لم أر شرحه للإيضاح وأعتقد مع ذلك أنه سلك فيه المسلك الذى وصف . ولكنى رأيت فى كتاب « دراسة كتاب فى البلاغة » بنى بالمباحثات اللفظية بينه وبين زميله ، كما بنى زميله بها أيضا ، فن الأمور التى اختلفا عليها الفرق بين كون الموصوف بالفصاحة والبلاغة الكلام وكون الموصوف بها المتكلم ، وهل الإيضاح فى « علم » المانى والبيان أو فى « علمى » المانى والبيان ، وهل كتاب الأطول للسيد أو للمصام ، وذكر الأستاذ عبد المتعال غلطات نحوية وإملائية وقع

فيها زميله . وهكذا ترى الأستاذين متأثرين بمباحثات الخطيب والسكاكى وقييلهما . والمؤسف أن هذه المطبوعات التى يتبادلها الأستاذان يتداولها الطلاب بل هم قراؤها القصورودون ، وما أظن ذات اثر حسن فى نفوسهم ولا فى عقولهم . أريد بعد ذلك أن أخرج من هذه الدائرة الضيقة ، دائرة المعركة الأزهرية إلى مجال أوسع يشمل دراسة البلاغة على وجه عام وهى خواطر أثارها فى نفسى قول الصديق الأكبر : « وصديق الأستاذ عباس خضر يرى كما أرى أن هذه الحواشى ومباحثاتها هى التى أفسدت البلاغة . وإذا كان فى الإيضاح بعض المباحثات فإنه مع هذا خير مألوف فى البلاغة بعد كتابى عبدالقاهر . دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة - لأنه يجرى غالباً فى طريقها ، وإن كان متأثراً بطريق السكاكى فى تبويب علوم البلاغة وتقسيمها ، وقد عرفت فى شرحى له عجاراته فى طريق عبدالقاهر ، واختيار ما هو من صميم البلاغة فى تلك الحواشى ، وإعمال مباحثاتها اللفظية ، مع التنبيه على ما فى الإيضاح من هذه المباحثات »

فأنا وإن كنت أشارك الأستاذ فى هذا القدر الضئيل من الرأى إلا أننى أذهب إلى أبعد كثيرا مما يرى . فأنا أعرف الإيضاح وأعرف أن مؤلفه صاحب « التلخيص » يؤثر إفساد البلاغة العربية بشروحه وحواشيه ، وأعرف جناية هذه الكتب - سواء بمباحثاتها اللفظية وما يسميه الأستاذ صميم البلاغة - على المسكة البيانية العربية ، وليكن الإيضاح جاريا فى طريق دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة فى الغالب أو فى غير الغالب ، قول نتخذ بلاغة عبد القاهر نبراسا يضيء زيتته فى عصر السكبرياء ! إبنى أعلم أن أنوقا نرعد من هذا الكلام .. ولكن مهلا . لقد كان لعبد القاهر فضله التاريخى الذى لا يجحد . كان أول مؤلف مزج النقد الأدبى بالقواعد العلمية وكان صاحب ذوق أدبى فى علمه . فجاء مؤلفون من بعده مجردون من ذلك الذوق ، فجعلوا البلاغة علما جانا ومجالا لإفساد المسكة الأدبية بالجدل القيم والفكر المقعد السقيم . ولا تزال إلى الآن نعانى أعباء هذه التركة وإن كان الأزهر يحمل اقتدح انفالها ، لأن رجال التعليم بوزارة المعارف خففوا منها بالتأليف المعصرى أولا ثم بتعديل مناهجها إلى نواحي أشبه بالنقد والدراسة الأدبية ، ولأن بعض أساتذة الجامعة أو هو أستاذ واحد (الأستاذ أمين الحولى) توجه بها إلى وجهة أدبية نفسية تطابق الدراسات الحديثة .

وأمل الأستاذ عبد المتعال الصمدي يشير إلى هذه الاتجاهات بقوله في مقدمة كتاب « دراسة كتاب في البلاغة » يصف صنيع الشيخ خفاحي « بل خرج على تقليد عصرنا الذي أحياد لائل الإيجاز وأسرار البلاغة بعد أن أمانتها الطريقة النقدية ، وكان لإحيائها أثر صالح في تهذيب دراسة علوم البلاغة ، ظهر أولاً في غير بيتنا الأزهرية ، ثم أخذ يفزو بيتنا ويوجهها إلى الإصلاح شيئاً فشيئاً »

وعلى ذلك نرى أننا نمود إلى طريقة عبد القاهر بأن « نؤدب » علوم البلاغة ، أي نصنعها بالصيغة الأدبية . وقد كان من سوء الحظ أن يخلف عبد القاهر أولئك المؤلفون الذين دفعوا البلاغة فتبخر منها ماء الأدب ، ولو كانوا من ذوي الملكة الأدبية لغفوها وصفوها وحملوها نقداً أديباً مرصفاً ونحن الآن نألف طويلاً نصل إلى هذا الغرض الذي لم يبلغه بعد إذ أننا الآن عند عبد القاهر فقط ! كأننا نريد أن نثبت أن البلاغة كروية .. ينتهي السیر فيها إلى حيث نقطة البدء ...

سيقول أذكيا بدركون من ذلك ما أرى إليه : إذن

كشكول الأسبوع

□ كان المرحوم الأستاذ محمد شريف بك قد أخرج جزءين من تحقيقه لديوان ابن الرومي وقد نعى إلى اللجنة المؤلفة لإخراج هذا الديوان بوزارة المعارف أن صاحب مكتبة باحدي مدن الشام لديه أصول الجزء الثالث التي كان مريم بنت أحمد ، مطبع . وقد استلم هذه الأصول من مكتبة القيد التي اشتراها صاحب المكتبة . وتوجه إليه إلى شراء هذه الأصول لطبعها أو الانتفاع بها في إخراج الديوان □ تنتهي الدورة السادسة عشرة للجمع نؤاد الأول للغة العربية في آخر مايو الحالي ، وتستمر عطته الصيفية أربعة أشهر ، ثم يستأنف انعقاده في أكتوبر القادم ، ويعقد المؤتمر السنوي في يناير سنة ١٩٥١

□ ذكرنا قبل أن مالى الدكتور حامد زكي - يخلف معالى الدكتور طه حسين بك في رئاسة وفد مصر بمؤتمر اليونسكو . ونذكر الآن أن معالى وزير المعارف سيدق في المؤتمر إلى يوم ٢٦ مايو ثم يعود إلى مصر ويعمل محله وزير الدولة . وقد تحدث معاليه إلى مندوب الأهرام فقال إن نية وفد مصر معقودة على إثارة مسألة هامة في المؤتمر ، وهى مسألة جعل تعلم اللغة العربية إجبارياً في بلاد إفريقية الشمالية .

□ من المسائل التي بحثها مؤتمر اليونسكو في دورته الحالية ، تبادل الأساتذة بين الدول الأعضاء لتدعيم التعاون الثقافي بينها وسد النقص الموجود في بعض هيئات التدريس الجامعي في بعض الدول ، ومشروع ترجمة أمهات الكتب من لغة إلى أخرى . وقد ذكرت مصر في تقريرها أنها بدأت فعلاً بترجمة بعض الكتب من اللغات الأجنبية إلى العربية والعكس ، ومن هذه المسائل أيضاً التهوض بقشون الأذاعة والصحافة والمسرح والسينما والموسيقى والتأليف والكتبات ، بإعبارها وسائل للتنشيط العام .

□ اجتمع يوم الأحد الماضي مجلس كلية دارالعلوم لإجراء عملية انتخاب عميد للكلية ، وقد أسفرت النتيجة عن حصول حضرات الأساتذة إبراهيم مصطفى بك وحامد عبد القادر وإبراهيم اللبان على أكثر الأصوات . وسيختار معالى وزير المعارف واحداً منهم طبقاً لقانون الجامعة .

□ يمرض على جمع فنؤاد الأول للغة العربية في جلته القادمة نموذج من « معجم فيشر » يمثل طريقة هذا المعجم وفكرته ، وذلك للموافقة على العروم في طبع الجزء الذي كان قد أعده الدكتور فيشر من هذا المعجم .

فأنت تدعو إلى نهضة علوم البلاغة جملة واحدة أقول : ولم لا ماد مناهدنا إلى الملكة اللغوية الأدبية التي نقدر بها على الكتابة والقراءة والنطق بلسان عربي أدبي جميل ؟ انظروا إلى المعاصرين من كتابنا « البلاغة » الذين لم يشغلوا أنفسهم بتلك العلوم فهم من مر بها ومنهم من لم يكن سيره عن طريقها - كم من أرائك الذين عكفوا على دراسة علوم البلاغة وعنوا بعض الخلافات والمنازعات بين الخطيب والسكاكي والجرجاني - يستطيع أن يجاري كتابنا في « بلاغتهم » التي تكون هذا الأدب العربي الحديث ؟

أقول ذلك مادامت الوجهة هي الملكة اللغوية الأدبية ، أما دراسة التاريخ والوقوف على تطورات الحركات العقلية فشيء آخر ، ولكن يجب الالتفات إلى أن هذه الدراسة لا تتطلب الانصراف السكلى إلى الجرائيات والتفصيلات ، وهى وإن كانت ملاحها العامة مطلوبة في الماهد المالية إلا أنها في المدارس العامة عبت أى عبت .

يوسف وهبي والفرقة المصرية قامت في الأسابيع الأخيرة - ولا تزال ، ضجة حول استقالة

ونبناء في فن التمثيل ، وهم جميعا ، مبنون في أروافهم لا يتقاضون من الفرقة ما يقوم بحاجتهم ويحفظ كرامتهم ، بل طنى الأستاذ يوسف وهبي بك على الفرقة كهيئة معنوية فجعل نفسه الفرقة ومديرها العام !

وكان يمكن التناخى عن ذلك لو أن يوسف وهبي قدم عملا فنيا يضاف إلى الانتاج المسرحي ويعمل على احياء فن التمثيل وتقدمه ، ولكن الذي حدث أنه جعل يكرر المجهود الذي قام به منذ ثلاثين سنة على مسرح رمسيس ، ذلك المجهود الذي يقوم على نفاق جواهر السامة بإثارة المواطنين على طريقة وعظية أو «مأعية» بعيدة عن هدف الفن الخالص ، وأقل ما فيها من بحافة الفن البعد عن الصدق ، فكأننا يعرف النعمة التي ظل يضرب عليها يوسف وهبي في مسرحياته وأيضا سينماياته ، وهي إيجاد مفارقات بين الأغنياء والفقراء ، وتصوير الأولين ظالمين مستبدن والآخريين ملائكة بررة على طول الخط ، كما في قصص أن زيد اللال من حيث إنه رجل مثالي لا يخطئ ولا يهزم على خلاف خصمه الزناتي خليفة الذي تسند إليه كل قعيصة لأنه خصم أبى زيد !

ويوسف وهبي ليس من الفقراء ، لا أصلا ولا فصلا ، وإنما هو يمشق الجمهور ، فهو يخلع أرسنقراطيته طلبا لمطام الجمهور في مصر كما خلع مصريته أمام الجمهور في تونس ، بل هو يخلع الفن الرفيع ويصدم أذواق المثقفين لاجتذاب طبقات أخرى من المتفرجين . وهو يعتبر مقياس النجاح — كما قال في مقالاته أخيرا — إقبال هؤلاء المتفرجين وكثرتهم ، فهو عندما يذكر آثاره في الفرقة يجعل في مقدمتها أن الإقبال على مشاهدة الروايات كثر في عهده فزاد دخل الفرقة .

ظل يوسف وهبي يقدم في الفرقة المصرية ذلك المجهود ، ولكن الفرقة المصرية لم تكن لمثل ذلك ، فالفرض الأساسي منها ترقية التمثيل العربي ، وليس ذلك من ترقيته في شيء ، ولو أن مدار الأمر على الرواج وكثرة الرواد لكان في مثل «شكوكو» غناء وجدوى أكثر من الأستاذ يوسف وهبي بك . ووزارة المعارف — مثلا — تترجم إلى اللغة العربية أمهات الكتب العالمية التي لا يقبل الجمهور العادي على قراءتها ، ولو أنها أرادت

الأستاذ يوسف وهبي بك من الفرقة المصرية ، تلك الاستقالة التي أريد عليها ، إذ أبلغه أولو الأمر رغبتهم فيها . وقد تكاثفت في جوه هذه العجاجات أنارتها الحملات المتبادلة في الصحف والمجلات بين الأستاذين زكي طليمات ويوسف وهبي . وليس عجيبا أن يهتم هذان الأستاذان ، وإنما العجب أن يتفقا وأن يجمعهم ما فرقة واحدة ، فكل منهما في الفن المسرحي مذهب وأسلوب مختلفان عن مذهب الآخر وأسلوبه ؛ فهما ضدان من الهدوء والصخب ، والتحليل والتهويل ، والجاسية والعامية ؛ وهل يجتمع الضدان ؟ وقد نعرض بعض الصحف الأسباب التي دعت إلى إخراج يوسف وهبي من الفرقة المصرية ، أو التي يظن أنها أسباب . ونجمع الكلام في هذه النقطة عند الرحلة التي قامت بها الفرقة أخيرا في بلاد المغرب ، فذكر أن يوسف وهبي خطب في تونس فخلع مصريته وانتسب إلى تونس ، وأنه تدخل في الأسماء التي منعت أوسمة تونسية ، فغير فيها وبذل حتى طلب أوسمة لبعض المتهمدن من اليهود وأهل بعض ممثلي الفرقة ، وأنه تمتد إطالة الرحلة ليكسب من رواياته التي يبالغ فيها ٢٥ ٪ من مجموع الدخل ومن بدل السفر الذي يمنح له خمسة جنيهات في اليوم الواحد ، وأنه أرسلت إليه برقية من مصر للمودة فتباطأ ... الخ وقد يكون ذلك الذي ذكر أو غيره ، أمورا مباشرة استند إليها لإبعاد يوسف وهبي عن الفرقة المصرية ، ولكن السبب الحقيقي أعمق من كل ذلك وأبعد ، فليس ذلك المسلك وليست تلك التصرفات جديدة من الأستاذ يوسف وهبي بك ، فإن كان قد قام برحلة شهيرة إلى شمال إفريقية ، فقد قام من قبل برحلة أطول منها في مصر ... صنع فيها ما صنع في الرحلة المغربية بل أكثر ! إذ استغرقت الرحلة المصرية عامين قدم فيهما رواياته القديمة ، وهي نفس الروايات التي أخذها معه إلى بلاد المغرب ، وهي أيضا نفس الروايات التي يختص فيها بخمسة وعشرين في المائة من دخل «شباك التذاكر» ودأب في الرحلة المصرية كما فعل في الرحلة المغربية على إراز نفسه واختصاصها بأكبر نصيب من الإعلاق والدعاية إلى جانب النصيب السادي الأكبر الذي يحتول عليه من مرتبه الكبير وربع الدخل العام ، وطنى في كل ذلك على زملائه من ممثلي الفرقة وممثلاتها ، وفيهم أعلام